البلاغة /المحاضرة الثانية

الكلام نوعان

الكلام: هو اللفظ المفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها وله نوعان

ـــالخبر : الخبر له مفاهيم متنوعه اشهرها (هو الكلام المحتمل للصدق والكذب لذاته) والمراد بالصدق مطابقة الخبر للواقع ، والكذب عدم مطابقته للواقع – سواء كان منفياً ام مثبتاً .. ولنظر القائل و المتكلم او خصوصية الخبر . وذلك لتدخل الاخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى والبديهيات المألوفة . والتدخل الاخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في ادعاء النبوة ولكي يكون كلامنا دقيقاً فمثال الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته ، قولنا (جاء زيدٌ) فهذه الجملة افادت نسب المجيء الى زيد والحكم به عليه، فان وافق ذلك الواقع كان خبراً صادقاً ووصف الكلام بالصدق وان خالفه كان خبراً كاذباً ووصف الكلام بالكذب، ومثله قولنا (ما جاء زيدٌ) افاد نفي المجيء عند زيد، فأن وافق الواقع وصف الكلام بالصدق و أن خالفه وصف بالكذب و في بعض الاحيان قد يوصف الخبر بالصدق فحسب اما بالكذب فقط، ولكن هذا ليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري وانما بأعتبار أسباب اخرى خارجة عن نطاق الجملة تؤيد صدقه او كذبه فأخبار القرآن الكريم لا تحتمل الا الصدق بأعتبارها كلام الله جلا وعلا، وان كانت تحمل الصدق والكذب من حيث هي اخبار بصرف النظر عن قائلها.

وقول اليهود : ان عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، كلا لا تحمل الا الكذب، لان الواقع يكذبه ويبطله ،وان كانت تحتمل الصدق والكذب من حيث هي اخبار، فوصف الخبر بالصدق فقط ، او الكذب فقط انما هو باعتبار اسباب خارجه عن نطاق العبارات، وليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري لذا كان هذا القيد فخير التعريف (لذاته) اي لذات القول.

اما الفرق بين الخبر/ الانشاء :

فقد فهمنا ان الخبر ما يصح ان يقال لقائله انه صادق فيه او كاذب فأن كان الكلام مطابق للواقع كان قائله صادق، وان كان غير مطابق له كان قائله كاذبا.

أما الانشاء : فالهدف فيه والمقصد ايجاد الشي وانشاؤه ابتداءً

ولذا عرفوه بانه قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته. فهذا لا يعني انه ليس لمفهوم الكلام الانشائي واقع يوافقه او يخالفه، بل له واقع خارج نطاق العبارة، له واقع في ذهن المتكلم به،

ولكي لا يقصد موافقة مفهوم الكلام الإنشائي لهذا الواقع الخارجي الكائن في ذهن المتكلم او عدم موافقته .... فقولنا : حافظ على الصلاة _ أقرأ القرآن _ لا تقرب الفواحش _ أين محمد _ يا ليت الشاب يعود .... وأيجاده إبتداءً ولا يقصد وصفاً بالصدق أو بالكذب ولذا قالو : الأنشاء قول لا يحتمل الصدق والكذب.

أغراض الخبر

يساق الخبر لتحقيق أحد الغرضين :

١_ الغرض الحقيقي : وهو قصد الأخبار والأعلام وهذا هو الغرض الأصلي من القاء الخبر ، وهو على ضربين :

أ) فائدة الخبر : وهو يحصل من الخبر الملقى لأفادة المخاطب للحكم الذي تضمنته الجملة ، وهذا يشمل جميع الأخبار التي يراد منها تعريف المخاطب بمضمونها ، كالأخبار المتصلة

بالحقائق العلمية أو التاريخية وغيرها ، مثل زيد ناجح ، عمر أسلم ، لمن لا يعلم.

ب _ لازم الفائدة : وهو يحصل من الخبر الُملقي لإفادة المخاطب العالم بالحكم أن المتكم عالم به أيضاً، كقولنا لمن حفظ القرآن (حفظت القرآن) فالمخاطب يعلم انه حافظ للقرآن ولكن المتكلم يريد أفادته انه هو الآخر عالم بمضمون الخبر

٢ _ الغرض المجازي :وهو قصد معنى من المعاني _غير الاخبار والاعلام _تفهم من سياق الكلام وقرائن الاحوال وهي كثرة أهمها :

أ _ التحزن والتحسر :كقوله تعالى حكاية عن أمراة عمران (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ) تجد ان أمرأه عمران لم ترد بالخبر فائدته ولا لازم الفائدة لان الله عز وجل أعلم بهذا، وأنما ارادت ان تظهر تحسرها وتحزنها على خيبة الرجاء حيث كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكراً كي تهبه لخدمة بيت المقدس .

ب _الفخر : كقوله صلى الله عليه وآله (أن الله اصطفاني من قريش)

ج _ الاسترحام : منه ما ورد في دعاء كميل (وأنا عبدك الضعيف، الذليل، الحقير، المسكين، المستكين)

ء_ أظهار الضعف: (قال ربي أني وهن العظم مني وأشتعل الرأس شيبا)فالمراد في الآية اطهار الضعف والتخشع والخضوع لله عن دليل.

ومثله قول الشاعر

إن الثمانين- وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

مؤكدات الخبر : مؤكدات الخبر عديدة هي

(إنّ/ لام الأبتداء/ إما الشرطية/ السين/ قد/ ضمير الفصل / القسم/ نونا التوكيد/ الحروف الزائدة / خرف التنبيه .

أضرب الخبر:

إن لكُل كلمة في البلاغة حساب ينبغي على المتكلم أن يراعي حال السامع ،في خطابة معه فيصوغ كلامه على قدر حاجته لا زائد عنه لئلا يكون عابثا ولا ناقصاً لئلا يكون مخلاً.

ويعد المبرد أحد عُلماء اللغة _ أول من أشار الى اضرب الخبر، وذلك عندما سأله الفيلسوف الكندي قائلاً: أجد في كلام العرب حشواً، أراهم يقولون: عبد الله قائم، ورأى عبد الله قائم، وأن عبد الله قائم، والمعنى واحد فأجابه المبرد قائلاً بل المعاني مختلفة، فبعد الله

(فعبدالله قائم) اخباره عن قيامه،(إن عبدالله قائم) جواب عن سؤال سائل ، و(إن عبدالله لقائم)جواب عن أنكار منكر .

ومن هذا المنطلق تنوع الخبر-بحسب حال المخاطب-الى ثلاثة اضرب :

١-الخبر الابتدائي :وهو الخبر الذي من حقه ان يُلقى لمخاطب خالي الذهن من مضمونه ، فاذا كان المخاطب خالي الذهن القى اليه الكلام بدون تأكيد فيقال له مثلاً :الحقُ واضحٌ ، وكقوله امير المؤمنين 'ع': ((افضل الزهد أخفاء الزهد)) فيتمكن هذا في ذهن المخاطب لمصادقته أياه خالياً . فحكم هذا الضرب أن يكون خالياً

من مؤكدات الخبرُ لخلو الذهن من شيء يستوجب استقراره فيه ، من دون حاجة الى مؤكد. –

قال الشاعر :

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلبا خالياً فتمكنا

٢-الخبر الطلبي : هو الخبر الذي يُلقى لمخاطب متردد وشاك في مدلوله طالب الوصول الى معرفته والوقوف عن حقيقته ومنه قوله تعالى((إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)) (69) ...البقرة

ومثله (إن الحقَ واضحٌ). وحكم هذا النوع انه يُستحسن توكيده بمؤكد ليتمكن الحكم من نفس المخاطب ويقطع به ترددهُ وشكّه.

الخبر الانكاري:- هو الخبر الذي يلقي المخاطب منكرا لمدلوله، معتقد بخلافه وحكمه انه يجب توكيده بحسب درجة الانكار قوة وضعفا، فأدا كان المخاطب منكرا للخبر وجب توكيده له حسب انكاره فيقال له (ان الحق واضح) وان كان لا يبالغ في انكاره (ان الحق لواضح) ان كان يبالغ (والله ان الحق واضح) لمن اشتد انكاره وغالى فيه. ويظهر ذلك ايضا بالتأمل في قوله تعالى ((واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون))

يس 13-16

تجد ان اصحاب القرية قد كذبوا الرسولين وانكروا رسالتهما فعزز الله بثالث فقالت الرسل الثلاثة ((انا اليكم مرسلون)) مؤكدين الخبر لإصحاب القرية لانهم منكرون له فلما اشتد انكارهم لرسالتهم ((ما انتم الا بشر مثلنا.... ان انتم الا تكذبون)) مؤكدين الخبر بأن واللام صدد الجملة بما هو في معنى القسم((ربنا يعلم))

هذا والقاء الخبر بهذه الاضرب الثلاثة المتدرجة على حسب جهل المخاطب بمضمون الخبر او تردده او انكاره له و هو ما يقتضيه ظاهر الحال، وسمي هذا الاسلوب عند علماء البلاغة بـ (خروج الكلام على مقتضى الظاهر)